سلسلة مطويات شبكة بينونة

فدلاهما بغرور

الشيخ
د. أحمد بن قذلان المزروعي

www.baynoonanet.net
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نعود معكم في هذه النسائم الإيمانية، والقيم الأخلاقية؛ لنتزوَّد من كتاب الله، تلك الإيمانيات الراسخة وتلك الأخلاق الجميلة، فإنَّ أجمل وأفضل ما يُستمد منه الإيمانيات والأخلاق كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ثم ما جاء في آثار أهل العلم والقصائد والأبيات التي فيها جملة من الآداب.

وفي هذه الصفحات أقف معكم على آياتٍ من كتاب الله ﷻ وهي قصة مشهورة معروفة معلومة، ولكن فيها من القيم والأخلاق والإيمانيات والتنبيهات، ما ينبغي للمسلم أن يحرص على معرفتها.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١١٦ - ١٢٣].

أمر الله ﷻ الملائكة أن يسجدوا لآدم أبو البشر، كما قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١]، فاستجابوا لأمر الله ﷻ فسجدوا جميعًا، إلَّا إبليس تكبَّر ورفض

السجود، وحسد آدم على ما فضَّله الله به، حيث قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾ [ص: ٧٦]، فبدأت عداوة إبليس لآدم وحواء، فحذَّر الله ﷻ آدم وحواء من إبليس ألَّا يُطيعاه ولا يستجيبا لوسوسته، وبيَّن الله ﷻ لهما عقوبة الاستجابة له، وهي الخروج من الجنة والشقاء، ثم نهى الله آدم وحواء من شجرةٍ واحدةٍ في جنةٍ عظيمةٍ ألَّا يأكُلا منها، فجاء إبليس بصورة الناصح اللطيف يُزيِّن لآدم ما نهاه الله عنه، فوسوس لهما ودلَّاهما بغرور وقاسمهما وادَّعى النصيحة، فقال: هل أدلكما على شجرة بها الخلد الدائم والمُلك الذي لا ينقطع؟ فاستجاب آدم وحوَّاء لهُ، فأكلا من الشجرةِ، فلمَّا أكلا منها سقطت ثيابهما، وأصبحا يُغطِّيان أنفسهما من ورق الجنة، فعرفا خطأهما، فبادرا إلى التوبة والندم، فتقبَّل الله منهما، فغفر لهما، ثمَّ أمر الله ﷻ إبليس وآدم بالنزول إلى الدنيا، وبيَّن الله لآدم وبنيه عداوة الشيطان لهم، ومع هذه العداوة التي ستستمر إلى يوم القيامة، بيَّن الله ﷻ أنَّه سيُنزلُ عليهم كتابًا يهديهم ويُنجِّيهم من كل الشرور، فمن اتَّبع هذا الكتاب فلن يضلَّ في هذه الدنيا ولن يشقى في الآخرة.

هذه القصَّة العظيمة التي وردت في القرآن في عدةِ مواضع نستفيد منها عدةَ فوائد:

الفائدة الأولى: أنَّ الله ﷻ إذا أمر بأمرٍ وجب على المسلم امتثاله، وإذا نهى عن نهيٍ وجب على المسلم أن ينتهيَ عنه، وهذا من سلامة قلب المؤمن وتسليمه لربِّه، فإنَّ العبد لابدَّ أن يسلمَ لمالكه وسيِّده ما أمر به، وهذا الأمر الذي أمر الله به العبدَ في سعادته، كما أنَّه لو وقع فيما نهى الله عنه سيكون فيه شقاوته، فالشقاوة والسعادة في طاعة الله أو معصية الله، فمن أراد السعادة، فعليه بطاعة الله، ومن وقع في الشقاوة فإنَّه بسبب بعده عن طاعة الله ﷻ.

وهذا الأمر من الله ﷻ يجب أن نتنبَّه إلى أمرٍ مهم فيه، وهو أنَّ الأمر من رسول الله كالأمر من الله ﷻ فما أمر به رسول الله فهو كأمر الله ﷻ، وما رغَّب فيه رسول الله، فهو ترغيبٌ من الله ﷻ، كما قال ﷺ: «ألا وإنِّي أُوتيتُ القرآن ومثله معه»[1]، وقال الله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]؛ لذلك هنا من المهم التنبيه على ردِّ تلك الشبهة التي تُفرِّقُ بين القرآن والسنَّة، فما أتاهم من القرآن قبلوه، وما لم يأتهم من القرآن (أي: أتى من سنة النبي ﷺ ردُّوه)، وقالوا: لا نقبل إلَّا ما جاء من القرآن، ردُّهم لسنة رسول الله ﷺ هو ردٌّ للقرآن؛ لأنَّ الله ﷻ أمر في القرآن بطاعة الرسول وحذَّر من مخالفته، كما قال ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣].

الفائدة الثانية من هذه القصة: يجب على المسلم أن يكون حذرًا فطنًا من عدوِّه اللدود، وهو الشيطان، فإنَّه يأتي بأساليب ماكرة، ويفتح بابًا من الخير؛ ليُوقع الإنسان في ألف بابٍ من الشر ويأتي بصورة الناصح؛ حتى يُوقع الإنسان في الفضائح، فمن الغلط والغفلة أن يكون الإنسان عن عدوِّه غافلًا وله راكن وبين يديه مستسلم، فعليه أن يكون يقظًا فإنَّ العدوَّ يقظٌ، وها هو آدم عليه السلام نبيُّ الله أغراه الشيطان في أكل الشجرة، فأكل منها، فأُخرجَ أو نزل من الجنَّة، فهذا في آدم عليه السلام، فكيف بنا نحن؟ وهذا يدلُّ أيضًا على خطرِ الوقوع فيما نهى الله ﷻ عنه.

دَلَّاهُمُ بِغُرورٍ ثُمَّ أَسلَمَهُم ... إِنَّ الخَبيثَ لِمَن والاهُ غَرّارُ

وَقالَ إِنّي لَكُم جارٌ فَأَورَدَهُم ... شَرَّ المَوارِدِ فيهِ الخِزيُ وَالعارُ

لن يجرُّك الشيطان بوسوسته وزخرفته إلَّا إلى شر الموارد التي

[1] أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٧١٧٤).

تُرديك.

أيضًا لابدَّ على الإنسان أن يعرف الأساليب التي يدخل الشيطان منها على الإنسان، ولابدَّ عليه أن يعرف الأسباب التي تُوقيه شرَّ هذا الشيطان، فتحصُّنُه بالعقيدة الصحيحة، وقراءة القرآن، والذِّكر، والعمل الصالح، ومُصاحبة الصالحين، والدعاء؛ هذه أسبابٌ عظيمة من أسباب بُعد الشيطان عن الإنسان.

الفائدة الثالثة: التحذير من ثلاثة أمور أخلاقيَّة: الكبر والحسد والحرص.

* **أولًا: الكبرُ**، الكبرُ يُكسب الإنسان المقت، والكبرُ كما قال النبي ﷺ: «**بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**»[١]، المتكبِّر رادٌّ للحق، يستعلي عليه مُزدرٍ للناس، فهذا المتكبِّر والكبر يُكسبه مقتَ الناس له، ويُبعده عن التألُّه لربِّه، ويُثير الأحقاد عليه، ويُوغِرُ صدور الناس عليه أيضًا، على عكس الإنسان المُتواضع، «**من تواضعَ للهِ رفعَه**»[٢]، وكما قيل: (من تواضع، كثُرَ صديقه).

* **المحظور الثاني: الحسد**، والحسد كما تعلمون هو: (أن يتمنَّى الإنسانُ زوالَ النعمة عن غيره)، وهذا الحسد سهمٌ مسمومٌ على صاحبه قبل غيره، فلابد على الإنسان أن يُعالج هذا الحسد باتِّباع كتاب ربِّه، وأن يُفكِّر بعقلٍ في نتائج هذا الحسد، وأن يستدفع الأسباب التي تُوقعه في الحسد، ولابد أن ينظر إلى نظر الناس إلى الحاسد، ثم من المهم والأمور المهمة التي تُعالجُ الحسد: تحقيق أصل الإيمان بالقضاء والقدر.

وهذا الحسد حتى يتجَّنبه الإنسان لا بدَّ أن يعرف ويتعرَّف على

[١] أخرجه مسلم (٩١) مطولاً.

[٢] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٤٤) مطولًا، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٤٦) واللفظ له.

مخاطره، فمنها أنَّ الحاسد في قلبه حسرات ونارٌ تلتهب، ومنها انخفاض منزلته وانحطاط رتبته، ومنها مقتُ الناس له؛ حتى أنَّه يصِلُ ألَّا يجدَ صديقًا، ومنها سخط الرب عليه، ومنها خلله في التعرُّض على قضاء الله وقدره.

* **المحظور الثالث: الحرص**، الحرص وهو: (شدة الحب والتعلُّق بالأمور الدنيويَّة)، أن يكون حريصًا مُتعلِّقًا بالأمور الدنيويَّة مُجاهدًا في تحصيلها، مُكافحًا في وجودها، هذا الحريص يُضيِّع زمانه الشريف، ويُخاطر بنفسه التي هي أغلى ما عنده في ركوب المخاطر؛ لذلك حِرْصُ نبيِّ الله على الأكل من الشجرة جعله يخرج من الجنَّة، فهذا الحرص يجب على الإنسان أن يحذر منه.

والحرص على نوعين:

حرصٌ مُباح لا بدَّ ألَّا يزيد عن حدِّه؛ لأنَّ كثرة التوسُّع في المُباحات تُلهي القلب وقد تُوقعه في المكروهات، ثم الانشغال عن الواجبات.

والنوع الثاني: الحرص على المحرَّمات، وهذا الذي يجب عليه ألَّا يقربه.

كذلك يُقسَّم أهل العلم الحرص إلى نوعين، قالوا: (حرص فاجع، وحرص نافع).

فالحرص النافع أن يحرص الإنسان على طاعة الله، وعلى ما فيه نفعه في الدنيا والآخرة، **والحرص الفاجع** الحرص على الدنيا وعلى المحرَّمات، فحرص المرء على الدنيا، تجده مشغول مُعذَّبٌ بها، لا يلتذُّ بما فيها من لذَّةٍ وسرور، يشتغل بجمعها عن ذوقها، ويشتغل بمحبَّتها عن محبَّة الآخرة، فتجده غافلًا عن أموره المهمة، مُنشغلًا بأموره التي لا تعود عليه بالنفع.

الفائدة الرابعة: أنّه من تاب، تاب الله عليه، وأنَّ الإنسان بعد توبته أرفع منزلةً من ذي قبل؛ لأنَّ التوبة في حدِّ ذاتها عبادة، ثم السيئات والأخطاء تُبدَّل حسنات، فيرتفع عند الله ﷻ منزلةً.

الفائدة الخامسة: أنّه من أراد النجاة فعليه التمسُّك بكتاب الله، فيه الهدى وفيه النور وفيه الشفاء، ويتمسَّك بسنة رسول الله ﷺ؛ لأنَّ فيهما أمر الله وأمر رسول الله، ومن كان لأمر الله مُمتثلًا، ولرسول الله ﷺ مُتَّبعًا، فلابدَّ أن يكون في هذه الدنيا ناجيًا.

الفائدة قبل الأخيرة: الرد على فكرةٍ خبيثة، وهي فكرة خاطئة مُخالفة للعقيدة، وهي من يقول أنَّ أصل الإنسان قردٌ، وهي التطوُّر، أنَّه تطوَّر حتى كان قردًا، ثمَّ كان إنسانًا، وهذه فكرةٌ خطيرة مُخالفةٌ للعقيدة؛ ينبني عليها إنكار نبوَّة الأنبياء، فأصل الإنسان من طين، وأوَّل الخلق آدم عليه السلام.

الفائدة الأخيرة: ينبغي على الإنسان ألَّا يغتر بزخرف الأقوال، فإنَّ الأقوال الباطلة مُزخرفة، والشيطان يُرغّب فيها، ويُجمّلها للناس، فهذا الشيطان أتى بذلك الأسلوب الناصح، وقال مقولته في تلك الشجرة، أنَّ فيها الخلد والمُلك الذي لا ينقطع، وهذا زخرفٌ من القول؛ لهذا قال النبي ﷺ: «**إنَّ مِن البيانِ لَسِحْرًا**»[1]، فبعض البيان الباطل سحرٌ، فلا تغتر أخي المسلم بزخرف القول، وإنَّما عليكَ بحقيقة القول.

وإنَّما تزن هذه الأقوال إن كنتَ ذا علمٍ، فتقيس هذه الأقوال بثلاثة أمور: بالقرآن والسنة وما عليه الصحابة والتابعون، يعني الإجماع، فإذا أتتك مقولة باطلة، كتزيين بعض الناس الخروج على وُلاة الأمر، فنقيس هذه العقيدة على الكتاب والسنة، وما كان عليه

---

[1] أخرجه أبو داود (٥٠٠٧) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٥٧٦٧) بلفظ: «**إنَّ بَعْضَ البَيانِ لَسِحْرٌ**».

الصحابة ﷺ، فميزان معرفة الأقوال الباطلة لمن كان عنده علم: الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ومن سار على نهجهم.

ومن لا يميِّز بعض الأقوال والأفكار، ويغتر بجميل الأقوال، فهذا عليه أن يعرف أهل العلم الأخيار، ثم يأخذ بقولهم ويسير على طريقتهم؛ حتى يعرف طريق الحق.

واليوم أحبتي، في هذا العصر، وفي انفتاح الإعلام، تجد كثيرًا من الدعاة في الإعلام، حتى أصبح الناس في حيرةٍ، فلابدَّ علينا أن نُميِّزَ الذي يخرج، فإنَّ البعض منهم ليس على طريقةٍ مُستقيمة، وقد جرَّب الناس مجموعة من الدعاة في فترات ماضية وانكشفوا في زماننا فيما يُسمَّى بالربيع العربي، الذي هو في الحقيقة خرابٌ عربيّ.

فلا ننخدع مرَّةً أُخرى بأشخاص يأتوننا بنفس الأسلوب ونفس الجمال ونفس الكلام المُجمَّل والمُرونق.

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا بحفظه وأن يُبصِّرنا في دينه، وأن يُبعد عنَّا وعنكم كل شر وضرر، وأن يرفع عنَّا وعنكم وعن جميع بلاد المسلمين هذا الوباء، وصلَّى الله على نبينا محمد.